البعد الدلالي للعفة عن شهوة المال في القرآن الكريم

تاريخ الإرسال: 2018/02/08
تاريخ القبول: 2018/03/08
تاريخ النشر: 2018/06/01

بقلم
د/ محمد رافة (*)

ملخص

يبحث هذا المقال في البعد الدلالي الجديد الذي تحمله المفردة القرآنية، باعتبارها مدخلا لفهم الخطاب القرآني، فكثير من المصطلحات كانت مستعملة عند العرب بدلالتها اللغوية الوضعية المعروفة، غير أن القرآن الكريم أعطاها بعدا دلاليا جديدا يُستقرأ من سياقات نصوصه وآياته. من هذه المصطلحات مصطلح العفة.

وفي هذا الإطار يأتي هذا المقال الموسوم ب: " البعد الدلالي للعفة عن شهوة المال في القرآن الكريم " ليسلط الضوء على واحد من مجالات العفة في بعدها الجديد من خلال دراسة وتحليل للآية 273 من سورة البقرة.

الكلمات المفتاحية: العفة ; الشهوة ;الغنى ; الفقر ; القناعة ; التكفف

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين.والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وسيد الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اقتضت حكمة الله تعالى، أن يكون الإنسان متميزا في خلقه وتكوينه عن سائر المخلوقات الأخرى، يجمع بين الجانب المادي المتمثل في التسوية من طين والجانب الروحي المتمثل في النفخة الروحية الإلهية.

قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ الحجر: 29 ومن بديع صنعه ودلائل قدرته، أن أمدَّ النفس البشرية التي هي جوهر الإنسان بالاستعداد والقابلية للتوجه

(*) قسم اللغة العربية -كلية الآداب والفنون - جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف - مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب Moh—58 hotmail.fr

للخير أو الشر بما ركب فيها من عناصر القوة والضعف وما ألهمها به من أسباب الهداية والضلال.

وقدر للإنسان حظه من البلاء، فإذا هو ممتحن بقوتين، قوة مشاعر الخير والفضيلة التي تجذبه إلى السمو الروحي والترفع، وقوة الشر والرذيلة تهوي به إلى الحضيض

قال تعالى:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ الشمس:10/7

فالإنسان ليس ملاكا كريما ولا شيطانا رجيما، ذلك لأن الأول مجبول على الطاعة منزه عن المعصية، بحكم العصمة وانتفاء الغرائز والشهوات فهو بهذه الصفة في غنى عن تزكية النفس، وأما الثاني فلعدم جدواها فهوميئوس من رحمة الله إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ص:77

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم بجميع أغراضه عقيدة و تشريعا وأخلاقا و قصصا، يهدف إلى غرض أسمى هو هداية البشر إلى طريق الخير، والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة.

قال تعالى: ﴿الم ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة: 2/1

وإن تحصيل الإنسان لأسباب سعادته وفوزه في الدارين الدنيا والآخرة يمر حتما بتزكية النفس وتهذيبها بتخليصها من صفاتها السلبية التي جبلت عليها وهو ما يعرف بجهاد النفس وحقيقته أنه صراع المرء للتغلب على غرائزه وشهواته الجامحة والحيلولة بينها وبين وصولها إلى قلبه وتمكنها منه فيصير أسيرها ومعبودها وإذا وصل الأمر إلى هذا الحد يمكن الحديث عن مرض القلب، فالمطلوب وقاية القلب والحيلولة دون إصابته والعمل على سلامته من الشبهات والشهوات.

قال تعالى:﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ الشعراء: 88 /89

وقال أيضا: ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الصافات 84/83 وهذا الصراع على جانبين:

أ – جانب تطهير القلب من الشبهات واحلال محلها الإيمان الصادق

ب – جانب تطهير القلب من الشهوات لا بكبتها وقتلها بل بضبطها وحملها على الاعتدال من غير إفراط ولا تفريط وفق الشرع والعقل ويكون ذلك بكبح جماحها حال الشره، وإثارتها حال الخمول بما يحقق الحكمة التي خلقت من أجلها.

تسليط الضوء على ميدان الجبهة الثانية والتي تمثل صراع المرء للتغلب على غرائزه وشهواته، وتمكنه من ضبطها بالقدر الذي تؤدي به الوظيفة التي خلقت من أجلها هو جوهر

موضوع بحثنا " العفة عن شهوة المال"

ويقتضي من ذلك معرفة المنهج الذي يستمد منه المرء قوته للتغلب على ضعفه وغوائل شهواته ؟

وإذا أردنا تحديد الإطار النظري للدراسة، فإن العفة تندرج في الجانب الأخلاقي أو القيم الأخلاقية التي هي واحدة من أغراض القرآن الكريم ومحاوره إلى جانب العقيدة والتشريع والقصص، نقول ذلك تجوزا ذلك أن القرآن الكريم وحدة متكاملة ترتبط فيها العقيدة بالأخلاق، والأخلاق بالعبادة والتشريع،وفي ثنايا القصص دعوة للعقيدة ونماذج ومُثل عليا للأخلاق الفاضلة يضاف إليها اشتراكها في وحدة المقصد، فالقرآن الكريم بجميع أغراضه جاء لهدف أسمى هو هداية البشر والأخذ بأيديهم إلى شاطئ النجاة.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف :52

ما حقيقة العفة عن شهوة المال ؟ وما هي أبعادها ؟ ثم ما الطريق لاكتساب خلق العفة ؟

نتوخى من هذا البحث الإجابة عن هذه الأسئلة في ضوء آيات القرآن الكريم.

صحيح أن الوقوف على القيم الأخلاقية ومعرفة الخير والشر، الحق والباطل، المعروف والمنكر.. لا تجعل بالضرورة من الإنسان عبدا صالحا يحقق معنى الخلافة في الأرض، لأن ذلك يتوقف على أمور أخرى، غير أنها تبصر المرء وتمكنه من معرفة الخير آثاره الشر وعاقبته ؟ بل ويكون لها التأثير في توجيه أعمالنا الوجهة الصحيحة كما أنها تشجع على إيجاد الإرادة والرغبة إذا فقدتا.

فالوقوف على قصة يوسف عليه السلام المثل الأعلى للعفة،وغيرها من قصص القرآن الكريم الحاملة لمعان القيم الأخلاقية الرفيعة له وقعه الخاص في النفس البشرية.وللنفس البشرية منافذ شتى لا منفذا واحدا، ويختلف الناس اختلافا بينا في التجاوب مع المؤثرات، لذا تنوعت الأساليب التربوية وتعددت ليصادف المؤثر طبيعة النفس.

وليس بالضرورة أن تستجيب كل نفس لنفس المؤثر تتجاوب معه،بل وإن استجابت جميعها لا تكون على درجة واحدة من الاستجابة وتلك سنة الله في خلقه

إن قصة يوسف عليه السلام في موضوع العفة،وخروجه منتصرا في كل محنة، تمثل النموذج العملي الذي يكسب الجانب النظري قوة وبعدا جديدين، أدناه زوال اليأس من كون هذه المثل والمبادئ السامية والقيم الأخلاقية العالية مجردة ولا وجود لها إلا في التصور والمخيلة.

فالموعظة البليغة والأسوة الحسنة إذا اجتمعا يجعلان الأثر في النفس أقوى وأعمق.

وقد اتبعت في ذلك "المنهج الاستقرائي "

استقراء النصوص التي تناولت موضوع العفة عن شهوة المال في القرآن الكريم للوصول إلى حقيقة العفة في القرآن الكريم.باستقراء آياته، واستنطاق ألفاظه ومفرداته، وبيان دلالاتها اللغوية واستعمالاتها المختلفة الأصلية والتوسعية أو المجازية للوقوف على دلالاتها ومعانيها ونختار منها ما يناسب السياق الذي وردت فيه بالاستعانة ما أمكن بعلوم اللغة وقواعدها من علم الدلالات وعلم البيان وغيرها ليتم فهمها وبيانها وفق ما يعرف بقواعد تفسير النصوص.

موضوع العفة في حدود علمنا لم تتناوله الدراسات السابقة القديمة منها و الحديثة، وتفرده كبحث مستقل غير أن ياقوت الحموي في كتابه: "معجم الأدباء" ذكر أن أبا عبيدة معمر بن المثنى(ت 210 ه) له تصانيف تقارب المائتين (200) منها "كتاب العفة " غير أني لم أقف عليه، أو كتاب "فضيلة العفة وضبط النفس" رسالة ماجيستير قدمها:طلخان شريف طلخان من جامعة الأزهر الشريف عام 1939 م

وفي مرحلة الجمع وقفت على كتاب بعنوان" العفةكما تبينها سورة الحج والمؤمنون والنور والفرقان "ليوسف كمال محمد دار العلم القاهرة، وقد بدا لي من خلال العنوان أنه أقرب الدراسات إلى موضوع بحثنا، غير أن قراءتي لمتن الكتاب تبين أنه تفسير موضوعي لما جاء في السور المذكورة آنفا وأن العفة لم تذكر إلا بصورة سطحية وفي سياق الحديث عن دلالات الآية عليها.

وباستثناء ذلك فإن موضوع العفة جاء متناثرا في كتب الأخلاق والتربية وفلسفة الأخلاق، وعلم النفس، والمشتغلين بالجانب الروحي من الصوفية وغيرهم نذكر منها:كتاب "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق "

ما لابن مسكويه (ت421 ه) وكتاب "أدب الدنيا والدين " للماوردي (ت 450ه) وكتاب"إحياء علوم الدين " لأبي حامد الغزالي (ت505 ه) في ربع المنجيات وكتاب "طريق الهجرتين وباب السعادتين " لابن قيم الجوزية (ت751 ه) وكتاب "موسوعة أخلاق القرآن" لأحمد الشرباصي وكتاب " الأخلاق" لأحمد أمين.

غير أن هذه الدراسات وإن استفدت منها كثيرا وكانت مادتي الأولية في إنجاز هذا البحث المتواضع، إلا أنها تناولت الموضوع وعرضته بطريقة فلسفية حينا، وفكرية ووجدانية حينا آخر، وقد التزم بعضهم في طريقة عرضها،الدقة العلمية في التعامل مع المصطلحات، و اكتفى البعض الآخر بالعموميات وفي أغلب الأحيان كانت تورد نتائج وأحكاما تفتقر إلى التأصيل أو الاستدلال، أو هي مواجيد يجدها سالكو طريق العفة، لا ترقى إلى الدراسة العلمية بالمعنى الدقيق. مما يجعل القارئ يقف منها موقف التحفظ ناهيك عن الباحث الذي لا يمكنه إثباتها ولا إنكارها فيرضى منها بالاستئناس وتلكم هي واحدة من الصعوبات التي تعترض الباحث.

جاءت خطة البحث على النحو التالي:

مقدمة

المبحث الأول: دراسة تحليلية للآية 273 من سورة البقرة في قوله تعالى:﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: 273

المبحث الثاني: أحصروا في سبيل الله

المبحث الثالث: لا يستطيعون ضربا في الأرض

المبحث الرابع: يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف

المبحث الخامس: تعرفهم بسيماهم

المبحث السادس: لا يسألون الناس إلحافا

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج المتوصل إليها

المبحث الأول دراسة تحليلية للآية:

قال الله تعالى **﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾** البقرة:273

آية البقرة جاءت في أعقاب آية أخرى، حثّ فيها الله عز وجل عباده المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله، وترغيبهم فيه لما في ذلك من جزيل الثواب[(1)] وعظيم الأجر.

الفقر، والإحصار، والضرب في الأرض، والسمة،والإلحاف، مصطلحات تستدعي الوقوف عندها لفهم معنى الآية ومنه حقيقة العفة.

الفقر لغة: الحاجة أي أن الإنسان يفقد ما هو في حاجة إليه، فلا يجد ما يكفيه لسد حاجاته الضرورية، فإن فقد ما هو في غنى عنه لا يسمى فقرا [(2)]، فالفقير يحمل همَّ الخصاصة وتلبية الحاجة، بخلاف الغني أو صاحب الكفاف.[(3)]

واختلف العلماء في تعلق لام "للفقراء " إلى أقوال منها:

الأول: أنها متعلقة بمحذوف تقديره وجوب النفقة أو الصدقة للفقراء، فالجار والمجرور – للفقراء– وشبه الجملة في محل رفع خبر لمبتدإ محذوف تقديره الصدقات للفقراء. ذهب إلى هذا القول جماعة من العلماء منهم: الزجاج النحوي في " إعراب القرآن " ومكي بن أبي طالب في "مشكل إعراب القرآن " والزمخشري في تفسيره "الكشاف "

وابن عطية في تفسيره" المحرر الوجيز" والطبرسي في تفسيره "مجمع البيان" وعليه أكثر

المفسرين[4]

قال الزجاج: " (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) هذا خبر مبتدأ مضمر، والتقدير فيه وجوب صدقة البر للفقراء الذين أحصروا " [5]. وقال مكي بن أبي طالب " قوله (للفقراء) اللام متعلقة بمحذوف تقديره أعطوا للفقراء "[6]

الثاني: (اللام) التي في (للفقراء) مردودة على (اللام) التي في (فلأنفسكم) كأنه قال: (وما تنفقون من خير) فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله.أي بين الله تعالى سبيل النفقة ومصرفها، وهو مذهب الطبري وعلل ذلك فقال: "فلما اعترض في الكلام بقوله: (فلأنفسكم) فأدخل "الفاء" التي هي جواب الجزاء فيه، تركت إعادتها في قوله: (الفقراء)، إذ كان الكلام مفهوما معناه "[7]

ويبدو أن مذهب الطبري قي هذه المسألة لم يلق تأييدا من كثير من المفسرين، بل هو مُتعقب من بعضهم[8]. قال الزجاج: "وقيل اللام بدل من اللام في قوله تعالى: "وما تنفقوا من خير فلأنفسكم " " للفقراء الذين أحصروا " وهذا لا يصح، لأن الفقراء مصرف الصدقة، والمنفقون هم المزكون، فإنما لأنفسهم ثواب الصدقة التي أدوها إلى الفقراء "[9] قال الطبرسي مثل ذلك" نقلا عن علي بن عيسى[10] قوله "... وهذا لا يجوز لان بدل الشيء من غيره لا يكون إلا والمعنى يشتمل عليه، وليس كذلك "[11].

الثالث: "قيل: خبره محذوف تقديره للفقراء الذين صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين"[12]

وإن كان العلماء اختلفوا في تقدير الحذف، فهم بلا ريب متفقون على أن في الآية حذف.

والسؤال الذي يستوقفنا: **هل الحذف في هذا المقام أبين من الذكر ؟**

الحذف باعتباره واحدا من مقامات الكلام في مقابلة الذكر، "من سنن العرب في كلامها"[13] استعمل لغرض الارتقاء بالكلام إلى درجة الحسن والبلاغة فضلا عن إصابة المعنى، فقد يؤدي الحذف ما لا يؤديه الذكر. وهو أمر معلوم عند علماء العربية.

قال الجرجاني في باب القول في الحذف:" هو بابٌ دقيقُ المسلكِ،لطيفُ المأْخذِ، عجيبُ الأمرِ شبيهٌ بالسِّحرِ فإنك ترى به ترك الذِّكرِ، أفصحَ من الذِّكرِ، والصَّمْتَ عن الإفادةِ، أزيدَ لِلإفادةِ، وتجدُكَ أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطقْ، وأَتَمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ " [14]

لا شك أنه لو ذكر في الآية الكريمة ما جاء تقديره محذوفا، وأعيد نظمها ما كان هذا الوقع في النفس الذي أفادته في تحريك مشاعر المؤمنين تجاه هذا الصنف من الفقراء المتعففين عن السؤال ليتفطن لهم، تاركاً فيهم انطباعا وشعورا منهم بالتقصير في القيام بواجبهم تجاه إخوانهم، فتتحرك عزائمهم.

قال عبد الكريم الخطيب في تفسيره لهذه للآية: " والحذف هنا أبلغ من الذكر حيث يشعر بأن أمر هؤلاء الفقراء في غنى عن أن يحرض عليهم فحقهم على المحسنين واجب لا يحتاج إلى بيان"(15)

وقد أشار إلى القدر الزائد في المعنى الذي يحصل للنفس نتيجة الحذف. وفي لفظ " هنا " إشارة إلى المقام ومناسبة الحذف لمقتضى الحال.

وأيا كان الأمر– تعلق الأمر بمذكور صريح أو محذوف مُقدَّر– فإن في الآية دعوة وإرشاد ا من الله تعالى للمؤمنين للإنفاق بوضع الصدقة في أفضل مصارفها وهم الفقراء الذين تميزوا بصفات خمس استحقوا بها المدح والثناء

الصفة الأولى: أحصروا في سبيل الله

الصفة الثانية: لا يستطيعون ضربا في الأرض

الصفة الثالثة: يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف

الصفة الرابعة: تعرفهم بسيماهم

الصفة الخامسة: لا يسألون الناس إلحافا

المبحث الثاني: أحصروا في سبيل الله

أصل الإحصار في اللغة المنع والحبس يقال للرجل الذي قد منعه الخوف أو المرض عن التصرف قد أُحصِرَ فهو مُحصَرٌ، ويقال للرجل الذي حُبس قد حُصر فهو محصورٌ ونظيره حبسه جعله في الحبس، وأحبسه عرَّضه للحبس، وكذلك حَصَرَهُ أوقعهُ في الحصر.والحصير: هو البساط المنسوج من بعض النبات الطويل الساق الحابس المانع من الحركة ثم استعملت للدلالة على كل ما فيه معنى المنع والحبس فأطلقت على البخيل لحبسه رفده(16)، والعيي(17) إذا عيي في الكلام ولم ينطلق لسانه، وكذا أطلق الحصير على الذي لا يبوح بسره لأنه حبس نفسه عن البوح به، والحَصُورُ الذي لا إربة(18) له في النساء، وعليه فالمعنى لا يخرج عن المنع والحبس. (19)

أما في القرآن الكريم فقد ورد لفظ "الإحصار" ست مرات (20)، أولاها هذه الآية التي بين أيدينا، والثانية في السورة نفسها في سياق الحديث عن مناسك الحج

في قوله تعالى:" **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ** " (21)

فما الإحصار في هذه وتلك ؟

ففي آية الحج منعهم مانع الخوف أو العدو أو المرض من إتمام الحج والعمرة بمناسكها، وفي الثانية صيَّر هؤلاء الفقراء إلى حالة يحبسون فيها أنفسهم عن التصرف والكسب.

وإن كان لفظ " في سبيل الله"يوحي بمشروعية المانع إلا أنه يحق لنا أن نتساءل عن طبيعة المانع الذي صيَّر هؤلاء إلى هذه الحال ؟

قال بعض المفسرين[22] المراد ب "سبيل الله" هنا الجهاد، عليه يكون عجزهم حاصل بالجهاد، وتكون "**في**" للسببية والمعنى أن عجزهم وحبس أنفسهم عن التصرف والكسب بسبب تفرغهم للجهاد. وقيل أن المراد ب "سبيل الله " هو الهجرة من مكة إلى المدينة، فيكون المعنى: أن هؤلاء المهاجرين الذين تركوا ديارهم و أموالهم بمكة وقدموا المدينة لا خبرة لهم بالزراعة ولا يملكون مالا للتجارة، وجدوا أنفسهم محصورين، فكانت الهجرة من هذا الباب، مصدر إعاقة لهم وعليه فتكون "**في** " للتعليل [23].

والظاهر أن الذي دفع هؤلاء و هؤلاء إلى التأويل هو ما بلغهم مما روي في سبب النزول."قال مجاهد و السدي:" المراد بهؤلاء الفقراء: فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم ثم تتناول الآية،كل من دخل تحت صفة الفقراء غابر الدهر.وإنما خص فقراء المهاجرين بالذكر، لأنه لم يكن هناك سواهم، وهم أهل الصفة و كانوا نحوا من أربعمائة رجل،وذلك أنهم كانوا يقدمون فقراء على رسول الله ﷺ، ومالهم أهل ولا مال، فبُنيت لهم صُفّة في مسجد رسول الله ﷺ فقيل لهم "أهل الصفة ".

" قال أبو ذر[24]:كنتُ من أهلِ الصُّفَّةِ، وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ، فيأمرُ كلَّ رجلٍ فينصرف برجل، ويبقى من بقي من أهل الصُّفَّةِ، عشرة أو أقل، فيؤتي النبي ﷺ بعشائه ونتعشى معه، فإذا فرغنا، قال رسول الله "ناموا في المسجد". [25]

المبحث الثالث: لا يستطيعون ضربا في الأرض

" الضرب في الأرض: الذهاب فيها هو ضربُها بالأرجلِ" [26]، وهو كناية عن التجارة، باعتبارها الغالب في مصدر العيش في ذلك الوقت، لأن التجارة

تتطلب من صاحبها السفر بضرب الأرض برجله أو بدابته.

والكناية حدها الجامع عند المحققين من علماء اللغة " كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز "[27]

الحقيقة: الذهاب في الأرض ماشيا أو على دابة، والمجاز: التجارة والكسب،والوصف الجامع بين المجاز المستور والحقيقة الظاهرة حاضر في الآية كما سبق ذكره،وعليه ففي الآية كناية بكل المقاييس البيانية.

ومما يؤكد أن الضرب في الأرض جاء كناية عن التجارة قوله تعالى " **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآَنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآَخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** "[28]

وقوله أيضا:" **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** " (29)

والفضل في اللغة الزيادة من غير استحقاق(30)، والابتغاء لغة الطلب،فيصير معنى " يبتغون من فضل الله" يطلبون زيادة الرزق و المال فإن قيل:

ما الدليل على أن الابتغاء من فضل الله يكون بالكسب والعمل والتجارة ؟ يكون الجواب عليه أن في الآية دعوة إلى الانتشار في الأرض ابتغاء فضل الله، بعد انقضاء صلاة الجمعة وقد أمرهم بترك البيع والتجارة عند النداء لها، ومحل الشاهد: أن الله تعالى أذن لهم بعد فراغ الصلاة عما نهاهم عنه عند النداء لها.

وعليه يكون معنى" لا يستطيعون ضربا في الأرض " عدم القدرة عن السعي في الأرض للكسب والعمل والتجارة. ولما كانت الجملة في محل نصب حال، يكون حال هؤلاء الفقراء وهيئتهم العجز عن الكسب والتجارة لمانع شرعي.

لا شك أن الكناية –كغيرها من أساليب البيان الأخرى – أبلغ من التصريح إذا استعملت في المواطن التي تتطلبها ويقتضيها حسن المعنى في النفس قال السيوطي: "واتفق البلغاء على أن الكناية أبلغ من التصريح والاستعارة(31) أبلغ من الكناية "(32)

من طبيعة النفس الميل إلى ما هو خفي ودقيق، وخارج عن المألوف، فتتفاعل معه وكأنه نوع من إثبات الذات ومحاولة للارتقاء، فوقع الصور البيانية على النفس كوقع الأنامل على الأوتار، فبقدر بلاغة الصورة البيانية تكون قوة التأثير على النفس.

فلو حل التصريح محل الكناية ما كان لها هذا الوقع في النفس من حسن المعنى والجمال، فلا شك أنها أبلغ لما استعملت في الموضع الذي يحسن فيه استعمالها

في الكناية إظهار المانع الذي صير هؤلاء الفقراء إلى حالة تستوجب الحنو عليهم، وتحرك مشاعر المؤمنين تجاههم.

المبحث الرابع: يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف

بعضهم يحسبهم: يظنهم،" وحسِب الشيء كائنا يحسُِبه ويحسَبُه حسباناً ومحْسَبَة ومحسِبة ظنه "(33) قال:" الظن ضرب من الاعتقاد وقد يكون حسبان ليس باعتقاد "(34)

فالحسبان إذن قوة المعنى في النفس من غير أن تصل إلى حالة اليقين، والجهل: "اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه"(35)

فيكون معنى الآية الكريمة: أن الجاهل اعتقد الفقراء أغنياء وهو خلاف الحقيقة لجهله بحالهم، أو لقلة خبرته بباطن أحوالهم وتواصل الآية الكريمة معلِّلة منشأ هذا الاعتقاد أو الظن أو الحسبان

بقوله تعالى " **من التعفف**"وعليه يكون لفظ "**من** " للتعليل وهي متعلقة ب "**يحسبهم**"

ويستشف مما سبق أن للمعنى الذي يسبق إليه الذهن، بلا شك له أثره في توجيه الإعراب، مثلما للإعراب ومعرفة أحوال الكلمة له أثره أيضا في كشف المعنى.

حرف الجر "**من**" متعلقة ب "**يحسبهم**" وليست متعلقة بأغنياء –مستغنين عن التعفف– وذلك لفساد المعنى وإن كان النظر إلى مجرد ظاهر اللفظ، يحتمل الأمرين.

فكما أن الإعراب يكشف عن المعنى ويُبينه، فإن العلم بالمعنى المراد من السياق أيضا يوجه الإعراب بل و يُصححه، والجهل به يوقع الفساد، وهو ما أشار إليه صاحب "مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب " قبل أن يسوق عشرة أمثلة من القرآن الكريم بين فيها حصول الفساد في الإعراب بسبب البناء على ظاهر اللفظ وإغفال المعنى، ولم يخف أن بعضا منها وقع للمعربين.

فقال: "قوله تعالى(يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) فإن المتبادر تعلق من بِأغنياء لمجاورته له، ويُفسده أنهم متى ظنهم ظان قد استغنوا من تعففهم علم أنهم فقراءمن المال،فلا يكون جاهلا بحالهم،وإنما هي متعلقة بيحسب وهي للتعليل"[36]

وإذا كانت "من" متعلقة ب "يحسبهم "فهي بالتأكيد للتعليل فيكون المعنى أن العلة والسبب الذي جعل الجاهل بحالهم يحسبهم أغنياء هو تعففهم.

قال الآلوسي: "أغنياء من التعفف "من أجل تعففهم عن المسألة–فمن–للتعليل " [37]

والجاهل بحالهم قد فوَّت على نفسه فرصة وضع الصدقة في أفضل مصارفها أو إعطاؤها من ليست صفته التعفف، وهو نوع من التفريط في حق المتعفف لاستحقاقه النفقة وإفراط في حق الملحف، لحرصه الشديد على المال، فهو يسأل تكثرا لا فقرا وحاجة وبقدر ما يعطى بقدر ما يطلب المزيد.

قال الإمام علي رضي الله عنه:" **لا نرى الجاهل إلا مفْرِطًا أو مفَرِطا**"[38]

والصفة الثالثة هذه – يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف – حملت صورة من الصور البيانية ألا وهي التشبيه[39] في أبلغ صوره.

معلوم أن أركان التشبيه أربعة وهي: المشبه والمشبه به (ويسميان طرفا التشبيه) وأداة التشبيه: وهو اللفظ الدال على المماثلة والاشتراك، ووجه الشبه: وهو المعنى الذي يشترك فيه طرفا التشبيه.

ومعلوم أيضا أن طرفا التشبيه هما الركنان الأساسيان وبدونهما لا يكون تشبيه وعلماء البلاغة، تكلموا في أنواع التشبيه ومراتبه وخلصوا إلى أنها ليست على درجة واحدة من البلاغة بل بعضه أبلغ من بعض وأن "أعلى مراتب التشبيه في الأبلغية ترك وجه الشبه وأداته "[40] لما

في ذلك من قوة المعنى في النفس حيث أن المشبه عين المشبه به، والنفس بطبيعتها ميالة إلى المبالغة،وهذا فضلا عما في الصورة البيانية من الإيجاز الناشئ عن الحذف، الشيء الذي يجعل السامع يصول ويجول بفكره بحثا عن وجه الشبه حتى يلمسه في السياق وعند ذلك يشعر بمتعة ما وصل إليه من الكشف عن صورة وجه الشبه أكثر مما لو كان ظاهرا وجاهزا.

والآية التي بين أيدينا فقد شبه الله تعالى فيها الفقير المتعفف، بالغني من غير ذكر صريح لأداة التشبيه ولا تصريح بوجه الشبه.

صحيح أنه يلاحظ في الآية الكريمة غياب أداة من أدوات التشبيه نحو: "الكاف" و"مثل" و"كأن" لكنها حاضرة بوجود الفعل الذي ينبئ عن التشبيه وهو فعل "حسب" وهو من أفعال الرجحان،ويستعمل غالبا عندما يكون وجه الشبه بعيد الإدراك، بمعنى أنه يدرك بعد إعمال الفكر والنظر، كإيجاده بين الفقير المتعفف والغني." وقد تكون الأداة فعلا ينبئ عن التشبيه ولا يصرح به: علمت خالدا أسدا (الفعل علمت يوحي بالتشبيه ولا يصرح به) ومثله وحسبته وظننته خلته(41)

وقد شبه الله تعالى الجبال بالسحاب بقوله تعالى:" **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** "42

إن وجه الشبه لا يتبادر إلى أذهاننا لأول وهلة، بل بعد إمعان النظر، ندرك أن الجبال يوم ينفخ في الصور تمر في الهواء كمرور السحاب الذي تسوقه الرياح، ووجه الشبه هو السرعة. السرعة والحركة وعدم الاستقرار، السحب -أيضا- متحركة وغير مستقرة.

فكان فعل " حسب " في الآية هو الأنسب لأداء المعنى.

وشبه الله تعالى الولدان المخلدون باللؤلؤ المنثور في قوله تعالى:" **وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا** " (43)

إذا كان الشيخ الطاهر بن عاشور اهتدى إلى أن وجه الشبه هو: حسن المنظر مع التفرق فإن الفخر الرازي يرى أنه يحتمل ثلاثة وجوه دون ترجيح و تبعه في ذلك الثعالبي (44)

الحقيقة أن فعل " حسب " الذي يفيد الرجحان لا يعتبر أداة في الأصل ولكن ينوب عنها فقط، لذا فالقول بوجود أداة التشبيه فيه تجوز. وفي هذا الشأن قال بعضهم:

" وقد يغنى عن أداة التشبيه «فعلٌ» يدلُ عليه، ولا يعتبر أداة، فان كان الفعل لليقين أفاد قرب المشابهة... وإن كان الفعل للشّك أفاد ُبعدها نحو

قوم إذا لبسوا الدروع حسبتها *** سحبـــا مزردة على أقمـــار (45) " (46)

فأما عن وجه الشبه في قوله تعالى:" يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف" فإن إعمال الفكر في إيجاده يهدي إلى القول أنه: النزاهة عن السؤال، فكما أن الغنى مستغن عن السؤال لكفافه وغناه

وعدم حاجته إلى الناس، فكذلك الفقير المتعفف مستغن لتعففه وتجمله.

وإذا علمنا ذلك فما الذي يمكن أن تضيفه الصورة البيانية من معنى في إبراز حقيقة العفة ؟

الجواب عن هذا السؤال يمر حتما بالوقوف على ما يسمى بأغراض التشبيه ومحاسنه على ضوء الآية الكريمة، ولا شك أن التشبيه في قوله تعالى:" يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف " هو بيان لحال المشبه وهو الفقير المتعفف، حيث كان مجهول الصفة فبل التشبيه، فكان عند الجاهل بحاله في عداد الأغنياء، فجاء التشبيه ليفيد وصفه بأنه من الفقراء وليس ككل الفقراء. فقيرا يشترك مع غيره من الفقراء في العوز والحاجة، ويتباين معهم من حيث النزاهة عن السؤال نتيجة العفة، وبلا ريب فالمقام مقام مدح، لأن الفقر إنما يمدح مع العفة

فمن عادة الفقير أنه يسأل الناس حاجته لفقره وعوزه، وأما امتناعه عن سؤال وظهوره بمظهر الغنى فهو ما لم تجر به العادة. ومن عادة الغني النزاهة عن السؤال لغناه.

ففي الآية تشبيه لما لم تجر به العادة بما جرت به العادة، وهو ما عدّه أبو الهلال العسكري واحدا من أجود وجوه التشبيه وأبلغه"(47)

كما نلمس من هذا التشبيه غرض تزين المشبه – وهو الفقير المتعفف – وتحسين صورته من خلال تشبيهه بالغني في نزاهته عن السؤال وعما في أيدي الناس، وفيه إشارة و دعوة ضمنية الفقراء إلى سلوك طريق العفة، باعتبارها الأفضل، لأن المقام مقام مدح وثناء. ولا شك أن في تشبيه الفقير المتعفف، بالغني المستغني، يقوي المعنى في النفس ويؤكده.

فلو أسقطنا هذا التشبيه من الآية، لما أدى ذلك إلى المعنى المراد، فقد يقع في النفس أن هؤلاء الفقراء يسألون حينا ويتنزهون حينا آخر، فتكون المعرفة بهم إجمالية، فاحتيج إلى التشبيه بالغني لبيان قوة الامتناع والنزاهة، ذلك أن امتناع السؤال عند الغني أمر لازم له،لانعدام الدافع الذي يدفعه إلى ذلك –وهو الحاجة والفاقة – فالتشبيه هنا، جاء ليقوي معنى الامتناع ويبين أن قوته عند هذا الصنف من الفقراء كقوته عند الأغنياء.

وإذا علمنا ذلك حُقَّ لنا أن نتساءل: ما حقيقة "العفة "التي حالت دون علم الجاهل بحقيقة هؤلاء الفقراء، وجعلته يخطئ في حقهم وربما فوت ذلك عليه فرصة وضع النفقة في أفضل مصارفها ؟

لفظ " التعفف " جاء على وزن تفعل وهو من صيغ المبالغة، وأصل الفعل وجذره الثلاثي عفّ، وتعفُف على وزن(تفعّل) فهو مزيد للفعل الثلاثي بحرفين هما: تاء قبل الفاء وتضعيف العين، فيكون الفعل تعفف، يتعفف، تعففا والمصدر التعفف وهو المذكور في الآية، وذكر صاحب "شرح ابن عقيل" في سياق حديثه عن أبنية المصادر فقال: " إن كان على وزن تفعل فقياس

مصدره بضم العين نحو تجمل تجملا وتعلم تعلما وتكرم تكرما "[48] وعليه يكون مصدر تعفف هو تعففا وأما التعفف فهو اسم المصدر.

والسؤال الذي يستوقفنا: **ما دلالة الفعل عندما يأتي بهذا البناء ؟**

ذكر علماء اللغة أن الفعل بهذا البناء " **تفعل** " يأتي للدلالة على تكلف الشيء وليس به فيكون، تَعَفَّف تكلَّف العفة. وقد يأتي بمعنى أخذ الشيء نحو تفقه وتعلم فيكون تعفف بمعنى أخذ العفة [49]

وبأدنى تأمل في سياق الآية يهدي إلى: أن التعفف إنما جاء دلالة على التكلف، والتكلف تحمل الشيء على مشقتة وهي حقيقة هؤلاء الفقراء.

قال البغوي: " وتعفف إذا تكلف في الإمساك " [50]، فسلوكهم طريق مرضاة الله – سواء بالجهاد أو الهجرة – صيَّرهُم إلى هذه الحال من الفقر والحاجة وذلك أشد على النفس، مما لو كانوا أصلا فقراء. فهؤلاء تركوا ديارهم وأموالهم وآثروا طريق مرضاة الله ولبسوا لباس التقوى وتجملوا بالعفة،وسلكوا طريقها على مشقتها.

غير أننا وجدنا صاحب " تفسير المنار " يقول: " وقد فسَّر أهل اللغة التعفف بالعفة وبالصبر والنزاهة عن الشيء،وجعله المفسرون هنا للتكلف ولكن صيغته تفعُّل تأتي لتكلف الشيء وللمبالغة فيه والثاني أظهر هنا، لأن من يتكلف العفة قلّما يخفى حاله على رائيه، وأما المبالغ في العفة فهو الذي لا يكاد يظهر عليه أثر الحاجة فهو المتبادر هناوالمقام مقام المدح والمبالغ في الفضيلة أحق به من متكلفها " [51]

الحقيقة أن تعفف على وزن تفعل هي أصلا صيغة من صيغ بناء الأفعال التي تأتي للمبالغة، وأما التكلف فهو معنى من جملة المعاني التي يفيدها هذا البناء للمبالغة إلى جانب المطاوعة والطلب وغيرها[52]

وعليه فمنزلة التكلف من المبالغة هي منزلة الأخص، ولا شك أيضا أنهم بالغوا في العفة، فلا مجال للترجيح والله أعلم.

التكلف في اللغة: تحمل الشيء على مشقته (ففيه معنى الصبر وقوة التحمل ومغالبة النفس) المبالغة في اللغة: بالغ في الأمر اجتهد فيه ولم يقصر، فالمتكلف للعفة مجتهد مع تحمل مرارة مجاهدة النفس، ولا يخفى على عاقل ما في ذلك من مشقة وذلك قدر زائد على الاجتهاد والله أعلم.

فالتعفف في الآية الكريمة هو التنزه والاستغناء عما في أيدي الناس، رغم الفقر والحاجة، فالدافع حاضر وبقوة في النفس البشرية المجبولة على حب المال كما رأينا في الفصل الأول

والإثارة هي الأخرى حاضرة وفي أوجها لتحرك شهوات النفس وغرائزها الكامنة، هذه الإثارة ماثلة في شدة الفقر والحاجة مع وجود مانع الكسب والسعي.

ومع ذلك استطاع هؤلاء الفقراء مغالبة شهوات أنفسهم والتعالي فوق آلامهم ومعاناتهم في سبيل الله، ولبسوا لباس العفة حفاظا على عزة النفس وكرامتها فاستحقوا بذلك المدح والثناء وهو المعنى الذي حملته الآية الكريمة للعفة، في بعدها المتمثل في جانب المال.

فالعفة هنا عفة عن شهوة المال عفة حقيقية، بكل المقاييس[53] وهي بلا ريب واحدة من مجالات العفة. وفي هذا الشأن قال ابن عرفة:" قوله تعالى (أغنياء من التعفف)ولم يقل من تعففهم إشارة إلى اتصافهم بأبلغ وجوه التعفف لأن تعفف المحتاج (المضطر) إلى المسألة ليس كتعفف من لم تبلغ به الحاجة إلى السؤال فأفاد أن هؤلاء لم يتصفوا بتعففهم اللائق بهم بل اتصفوا بالتعفف الإجمالي "[54]

ففيه إشارة إلى التكلف باعتبارهم تعففوا العفة الحقيقية التي هي النزاهة عن السؤال البتَّةَ، متجاوزين العفة التي تليق بحالهم والتي قد تكون السؤال دون إلحاف ولا يخرجهم ذلك عن حدود معنى العفة، ولا شك أن المتكلف مبالغ ضمنيا.

المبحث الخامس: تعرفهم بسيماهم

في هذه الآية آية البقرة قوله تعالى: " **تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ** "[55]

في سورة الأعراف في قوله تعالى: " **وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ** " [56]

وقوله تعالى:" **وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ** "[57]

وفي قوله تعالى: " **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ** " [58]

وفي قوله تعالى: " **يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**"[59]

يلاحظ في هذه الآيات مجتمعة تعلق فعل المعرفة (يعرف، تعرفهم، يعرفون يعرفونهم، فلعرفتهم) ب " سيماهم " والمعرفة:" إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بنسيان حاصل بعد العلم "[60] والسيمة هي العلامة التي تخرج الشيء من حيز الجهل به إلى حيز الإدراك.

والذي نخلص إليه: أن هؤلاء الفقراء مع تعففم وتجملهم، لهم علامات يعرفون بها،فما حقيقة هذه العلامات تحديدا ؟ وإذا كان لهم علامات يعرفون بها فما الذي حال دون معرفة الجاهل بحالهم ؟

المفروض لا شيء، إلا أن يكون الوصول إلى هذه " العلامات" يتطلب تدخل أمر آخر، غير الحواس ؟

الوقوف على المعنى الدقيق للفظ "السمات" وعلى الفرق بينه وبين العلامة قد يمدنا بالبيان في المسألة "

لفظ "علامات" وحيدة في القرآن الكريم

فقد وردت في قوله تعالى:" **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** "(61)

واضح من الآية الكريمة أن لفظ " علامات" جاء للدلالة عن الجبال والأنهار والسبل... وما يوجد على الأرض مما يُعدُّ معلماً يُستدل به على الطريق لتجنب التيه والضلال. كما هو واضح أيضا، أن هذه العلامات لا تحتاج إلى أكثر من الرؤية البصرية، فهي ميسورة لكل من أنعم الله عليه بنعمة البصر، لا فرق في ذلك بين العالم والجاهل، الكيس والمغفل.

أما لفظ "التوسم "ورد في قوله تعالى: " **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ** " (62)

قال القرطبي في تفسيره:" قال العلماءُ(63): التَّوسُّمُ: تفعُّل،من الوَسْمِ، وهي العلامةُ التي يُسْتدلُّ بها على مطلوبٍ غيرِها " (64)

فهي علامة وسيطة، يتوصل بها إلى الاستدلال على مطلوب كان مجهولا فيتعين لعلاقة بينهما. إيجاد هذه العلاقة هو الذي يتطلب تدخل أمر آخر غير الحواس.

يقول ابن كثير:" لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته(65)" (66)

فالتوسم عند ابن كثير تجاوز مجرد الرؤية البصرية إلى البصيرة. وقريب من هذا ما ذهب إليه سيد قطب فقال: "ولكن ذو الحس المرهف والبصيرة المفتوحة يدرك ما وراء التجمل، فالمشاعر النفسية تبدو على سماهم وهم يدارونها في حياء " (67)

ويبدو من خلال ما نقل إلينا أن معنى " التوسم " كان واضحا لدى أسلافنا من العلماء وإن اختلفت ألفاظهم ومبانيهم.

فمعناه: المتفكرين عند المقاتل وابن زيد، الناظرين عند ابن عباس و الضحاك، المعتبرين عند قتادة، المتبصرين عند أبو عبيدة، المتفرسين عند مجاهد، المتأملين عند مالك عن بعض أهل المدينة (68)

فالتفكير والنظر والاعتبار والتبصر والفراسة والتأمل هي أفعال مرتبطة أساسا بالعقل، فلا ريب أن المراد من قوله تعالى: " تعرفهم بسيماهم" دعوة من الله تعالى عباده المؤمنين إلى الاجتهاد وإعمال الفكر في الوصول إلى المعرفة لهذا الصنف من الفقراء الذين لا يُتفطَّنُ لهم فيُتصدَّقُ عليهم.

فنحن أمام صنف من الفقراء ليسوا كالفقراء: فقراء آثروا التعفف على السؤال، والقناعة

بالقليل على الشره والاستكثار وبغنى النفس وعزتها على الذل والهوان.

ويبدو – والله أعلم –أن القول الأخير (قول مجاهد) في تفسير التوسم بالفراسة هو القول الراجح لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:" **اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ: إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ** "(69)

إن ربط الرسول ﷺ الحديث بالآية الكريمة يبين بما لا يدع مجالا للشك تفسير التوسم بالفراسة.

قال ابن منظور: "والفراسة بالكسر الاسم من قولك تفرست فيه خيرا، وتفرس فيه شيء توسمه " ونُقل عن ابن الأثير في الفراسة معنيين: " أَحدهما ما دل ظاهرُ الحديث عليه وهو ما يُوقِعُه اللَّه تعالى في قلوب أَوليائه فيَعلمون أَحوال بعض الناس بنَوْع من الكَرامات وإِصابة الظنّ والحَدْس والثاني نَوْع يُتَعَلَّم بالدلائل والتَّجارب والخَلْق والأَخْلاق فتُعرَف به أَحوال الناس " (70)

فإن لم تحصل للمرء الفراسة بالمعنى الأول، اجتهد في تحصيلها بالمعنى الثاني وذلك في مقدوره متى اجتهد، وعمل باتخاذ الأسباب والله تعالى لما خلق العفة خلق الفراسة.

فالجاهل بحالهم، لم يكلف نفسه عناء البحث عن حقيقة هؤلاء وأحوال معيشتهم،ومصدر رزقهم وأخلاقهم ولم يمعن الفكر والنظر في كل ذلك.

ومن الطبيعي أن نسجل سكوت النصوص الشرعية عن طبيعة السِّمات التي يُعرف بها الفقراء المتعففون وتترك الأمر للمتوسمين من المؤمنين.وإلا صارت علامات بدل سمات ولم يكن لقوله تعالى:"**يحسبهم الجاهل أغنياء**" معنى.

وما حمله إلينا المفسرون من تأويلات –جازاهم الله عنا خير الجزاء –في تعيين السمات يؤخذ بتحفظ وعلى سبيل الاستئناس، لمسنا هذا التحفظ عند الإمام الطبري فهو أكثر المفسرين التزاما بالمأثور بعد عرضه لأراء أهل التأويل في السمة التي يعرف بها هؤلاء الفقراء المتعففون قال:فقال بعضهم: هو التخشع والتواضع،وقال آخرون سيما الفقر وجهد الحاجة في وجوههم،وقال آخرون: تعرفهم برثاثة ثيابهم ليخلص إلى القول: "وأولى هذه الأقوال بالصواب أن يقال إن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ أنه يعرفهم بعلاماتهم و أثار الحاجة منهم " (71)

وحذا حذو الطبري، محمد رشيد رضا فبعد عرضه لمختلف الأقوال التي قيلت في تحديد السيما عقب على ذلك بقوله: "والصواب أن هذه السيما لا تتعين بهيئة خاصة لاختلافها باختلاف الأشخاص والأحوال،وإنما تترك إلى فراسة المؤمن الذي يتحرى بالإنفاق أهل الاستحقاق"(72)

المبحث السادس: لا يسألون الناس إلحافا

لم يرد لفظ الإلحاف في القرآن الكريم، إلا في هذه الآية، فهي وحيدة صيغة ومادة.وأهل اللغة والمفسرون مجمعون، على أن معنى الإلحاف الإلحاح ألحف في المسألة بمعنى ألح فيها.

غير أن بعض كتب اللغة أفادت أن ألح تأتي على معنيين: جاء في لسان العرب في مادة: ل ح ح "وألح عليه بالمسألة وألح في الشيء كثر سؤاله إياه كاللاصق به ...وقيل ألح على الشيء أقبل على السؤال لا يفتر عنه، ....ألحت الناقة إذا بركت فلم تبرح مكانها من ألح على شيء إذا لزمه وأصر عليه "(73)

فالأول يتعلق بطريقة السؤال و كيفيته.فالإلحاح يأتي في مقابلة الرفق بحيث أن السائل لا يفارق من يسأله حتى يعطى مسألته. أما الثاني فيتعلق بلزوم السؤال وعدم الانقطاع عنه. فأي المعنيين أقرب إلى معنى الآية ؟

إذا حملنا لفظ " إلحافا "على المعنى الأول يصير معنى الآية: أن الله سبحانه نفى أن يكون هؤلاء الفقراء المتعففين من أولئك الذين إذا سألوا حاجتهم أحرجوا المسؤول، وأصروا عليه ولم يفارقوه إلا أن يعطوا حاجتهم فيكون النفي منصرفا إلى التلطف في المسألة. وهو معنى تشبيه الإلحاح في السؤال باللاصق.

أما إذا حملناه على المعنى الثاني يصير معنى الآية: أن الله سبحانه نفى أن يكون هؤلاء الفقراء المتعففين من أولئك الذين يقبلون على السؤال من غير انقطاع ولم يفتروا(74) عنه، بل لازموه وأصروا عليه سواء أكانوا في حاجة إليه أوفي غنى عنه. فيكون نفي الفتور يوحي بأن الاستكثار أصبح همُّ السائلين، و فعل التَّسول دوما باق على حِدّته وشِدَّته لا يعرف فترات ضعف أو انكسار.

إلى المعنى الأول، ذهب الزمخشري فقال: "والإلحاف:الإلحاح وهو اللزوم و أن لا يفارق إلا بشيء يُعطاه"(75)، وتبعه في ذلك البيضاوي فقال: "(لا يسألون الناس إلحافا) إلحاحا وهو أن يلازم المسؤول حتى يعطيه "(76)

ويستشف هذا الرأي أيضا من عبد الكريم الخطيب:حيث قال: "(لا يسألون الناس إلحافا) هو سمة من سماة المتعففين من ذوي الحاجة، و أنهم إذا سألوا سألوا في رفق، وعلى استحياء وذلك أنهم لم يعتادوا السؤال، ولم يقفوا هذا الموقف من قبل"(77)

ويبدوا أن الشيخ رشيد رضا في تفسيره حمل الإلحاف على هذا المعنى،من خلال سياق كلامه عندما جعل سؤال الإلحاف في مقابلة سؤال الرفق والاستعطاف" (78) وأما المعنى الثاني – لزوم السؤال – ذهب إليه جمع غير قليل من المفسرين وعلى رأسهم الإمام الطبري و القرطبي

وابن كثير والبغوي.

قال الطبري:" زاد إبانة لأمرهم وحسن الثناء عليهم بنفي الشره والضراعة ..." (79)

وقال القرطبي:" أي: هذا السَّائلُ يعمُّ الناسَ بِسُؤالِهِ، فيُلحِفُهم ذلك "(80) وقال البغوي:"قال عطاء: إذا كان عندهم غذاء لا يسألون عشاء وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غذاء "(81) وهذا القول بالتأكيد يوحي باستبعاد الحرص على السؤال ولزومه للحاجة ولغير الحاجة

إذا كان هذا هو حال المفسرين واختلافهم، فإن الأحاديث النبوية تمدنا بفصل الخطاب في المسألة. روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " **لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَلَا اللُّقْمَةُ وَلَا اللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ يَعْنِي قَوْلَهُ{ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا }**"(82) و في حديث آخر:"**من سأل وله أوقية أو عدلها فقد سأل إلحافا** "(83)،

وأخرج النسائي عن أبي سعيد الخذري عن أبيه قال سرحتني أمي إلى رسول الله ﷺ فأتيته فاستقبلني وقال:" **مَنْ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ اسْتَعَفَّ أَعَفَّه اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ سَأَلَ وَلَهُ قِيمَةُ أُوقِيَّةٍ فقد أَلْحَفَ فَقُلْتُ نَاقَتِي الْيَاقُوتَةُ خَيْرٌ مِنْ أُوقِيَّةٍ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَسْأَلْهُ** "(84)

ويتبين جليا من هذه الأحاديث مجتمعة أن:سؤال الإلحاف أن يشمل الناس بالمسألة وهو مستغن عنها، والاستغناء حدده رسول الله ﷺ بأوقية أو أربعون درهما، فمن سأل وله هذا النصاب،فقد سأل إلحافا. وهذا المعنى يتفق مع أصل الكلمة التي هي مشتقة من اللحاف فكما أن الإنسان يشمل الإنسان في التغطية فإن الملحف يشمل الناس بسؤاله. (85) وفي الحديث إشارة إلى أن المسكنة إنما تحمد مع العفة

ومن هنا نستخلص أن المقصود بالإلحاف، الإلحاح بالمعنى الثاني لا الأول الذي وهو الحرص والتشديد على المسؤول وإحراجه، حتى يصير السائل كاللاصق ذلك لأن راوي الحديث الذي أتى رسول الله ﷺ لم تكن هذه هي صفته في سؤال رسول الله ﷺ حاجته، وغير مستبعد أن يكون عليه الصلاة والسلام تفرس فيه حاجته سبب مجيئه من غير يسأل، فأين الحرص وأين اللُّصوق ؟

بيان حقيقة العفة يستدعي الوقوف على مسألة ظلت محل خلاف بين العلماء ألا وهي انصراف النفي في الآية الكريمة. "لا يسألون الناس إلحافا " أإلى سؤال الإلحاف أم إلى مطلق السؤال ؟ وهما مذهبان. أي: هل كان هؤلاء الفقراء المتعففين يسألون الناس برفق وفي غير إلحاف ؟ أم كانوا لا يسألونهم البتة لا سؤال إلحاف ولا غير إلحاف ؟ وهل التركيب اللفظي

يحتمل المعنيين ؟

إلحافا إعرابها مصدر موضع الحال والحال كما هو معلوم يأتي ليبين هيئة صاحب الحال فيكون المعنى لا يسألون ملحفين أو في حال الإلحاف. ويجوز أن يكون مفعولا لأجله ويكون المعنى لا يسألون الناس لأجل الإلحاف (86) وفي جميع الأحوال فإن المتبادر من معنى العبارة هو نفي السؤال الإلحاف استنادا إلى الإعراب طبعا.

وإلى هذا المعنى ذهب الزمخشري فقال:" ومعناه: أنهم إنْ سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا "(87) ومن الطبيعي أن يكون هذا هو مذهبه في المسألة، ليتوافق مع مذهبه في معنى الإلحاح كما سبق، ومع ذلك،لم يستبعد أن يكون المعنى نفي

مطلق السؤال حيث قال:" وقيل هو نفي للسؤال والإلحاف معا كقوله"

على لاحب(88)لا يُهتدى بمناره(89) *** إذا ساقه العود النباطي جرجرا

" يريد نفي المنار والاهتداء به" (90)

فظاهر اللفظ نفي الاهتداء بالمنارة الموجودة بالطريق، إلا أن السياق يفيد نفي وجود المنارة أصلا بالطريق الواضح (اللحب)، ومن هذا الباب حملت الآية على مطلق النفي.

ويبدو أن العلماء اهتموا بالسياق أكثر من اهتمامهم بظاهر اللفظ تماشيا مع روح الآية فرجَّح أكثرهم نفي مطلق السؤال في الآية.

قال القرطبي:" وعلى هذا جُمهورُ المفسِّرين "(91) وقال محمد رشيد رضا: " وعليه المحققون "(92) وقال الطبرسي (ت548هـ):": أنهم لا يسألون الناس أصلا ...وهو قول الفراء والزجاج وأكثر أرباب المعاني(93)"(94)

ومن الذين ناقشوا المسألة الطبري في تفسيره حيث بدا أكثر حزما، حين

قال: " غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيئا على وجه الصدقة إلحافا أو غير إلحاف. وذلك أن الله عز وجل وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف، وأنهم إنما كانوا يُعرفون بسيماهم فلو كانت المسألة من شأنهم،لم تكن صفتُهم التعفف، ولم يكن بالنبي ﷺ إلى علم معرفتهم بالأدلة والعلامة حاجة، وكانت المسألة الظاهرة تنبئ عن حالهم وأمرهم "(95)

واستدل بالحديث الذي رواه أبو سعيد الخذري وفي قول أبي سعيد:" **فما سألت رسول الله ﷺ شيئا** "وعقب على ذلك بقوله:" الدلالة الواضحة على أن التعفف معنى ينفي المسألة من الشخص الواحد وأن من كان موصوفا بالتعفف فغير موصوف بالمسألة إلحافا أو غير إلحاف "

ويحق لنا أن نتساءل: ما وجه إضافة السؤال إلى الإلحاف ؟ وبمعنى آخر إذا كان المراد هو نفي السؤال البتة فلم قيد بالإلحاف ؟

الحقيقة أنه وإن كان المقصود هو نفي مطلق السؤال، إلا أن إضافة قيد الإلحاف إليه أبلغ، ذلك لأنه خروج عن العادة والعرف الذي ألفناه من إلحاف السائلين، الشيء الذي يجعل المرء يقف وقفة تأمل: ما الذي جعل هؤلاء الفقراء متميزين بخروجهم عن العادة والعرف ؟ فالعرف يقتضي أن تكون للأرض الواسعة منارة يُهتدى بها فلم فقدت ؟

الآية بهذه النظم –والله أعلم – تحمل مدحا وثناء على هؤلاء الفقراء المتعففين الذين تجاوزوا المسألة في غير إلحاف وهي مباحة في حقهم،إلى الامتناع عن السؤال البتة.

حملت الآية صورة بيانية وفنا من أبدع الفنون البيانية تعرف ب " نفي الشيء بإيجابه " قال ابن الأثير في المثل السائر: "ولقد مكثت زمانا أطوف على أقوال الشعراء قصداً للظفر بأمثلة من الشعر جارية هذا المجرى(96) فلم أجد إلا بيتا لامرئ القيس وهو:

على لاحب لا يُهتدي لمناره... إذا سافه العود الديافي جرجرا

فقوله " لا يهتدي لمناره " أي أن له منارا إلا أنه لا يهتدي به، وليس المراد ذلك، بل المراد أنه لا منار له يهتدي به." (97)

ولا شك أن السياق يحمل معنى المبالغة في التعفف عن السؤال من جانب هؤلاء الفقراء،فكان مثلهم كمثل الأغنياء في امتناعهم عن السؤال.ولا ريب أن عزة النفس وكرامتها عند هؤلاء،كانت وراء هذا التجمل وإخفاء الحاجة.فرغم أن السؤال في حقهم مباح، إلا أنهم آثروا العفة وسلكوا طريقها، وربوا نفوسهم عليها حتى صارت خلقا راسخا

ولن نغادر هذه الآية الكريمة قبل أن نعرض إلى لفتة طيبة من سيد قطب رحمه الله والتي تنبئ بحق، عن عمق فكره ووجدانه في تفسيره لختام الآية وكأنها ردا على من سأل: لم ختم الله عز وجل الآية بقوله تعالى:" **وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم** " ؟

فقال:" هؤلاء الفقراء الكرام الذين يكتمون الحاجة كأنما يغطون العوز ... لن يكون إعطاؤهم إلا سرا وفي تلطف لا يخدش إباءهم ولا يجرح كرامتهم ومن ثم كان التعقيب موحيا بإخفاء الصدقة وإسرارها، مطمئنا لأصحابها على علم الله بها وجزائه عليها "(98)

خاتمة:

أوصلني البحث إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

أولا: العفة في الآية الكريمة تجاوزت حدود الكف عما لا يحل – وهو المعنى الذي حمله بعض أهل اللغة – إلى ما هو أبعد من ذلك، مما لا يليق بالمرء فعله فالسؤال في حقهم ليس حراما، ومع ذلك ترفعوا عنه،فذاك قدر زائد على مجرد الكف عن الحرام.

وعليه يكون التعريف الأقرب إلى معنى العفة وحقيقتها من خلال الآية هو "الكف عما لا يحل

ولا يجمل" على أن تكون الواو،هي واو المعية بمعنى أن المتعفف تجاوز درجة الكف عما به بأس، إلى ما لا بأس به سعيا منه إلى بلوغ درجة الكمال في الأخلاق. وتلكم هي حقيقة العفة التي حملتها لنا الآية الكريمة في واحدة من مجالاتها وهي " العفة عن شهوة المال ".

ثانيا: آية البقرة: عرضت صنف من الفقراء ليسوا كالفقراء، يشتركون معهم في العوز والحاجة ويتباينون عنهم في صفات استحقوا بها المدح والثناء لتعففهم عن المسألة، رغم أن المسألة جائزة في حقهم إلا أنهم تجملوا ولم يظهروا الخصاصة حتى ظنهم الجاهل بحالهم أغنياء وهو قدر زائد استحقوا به وصفهم بالمتعففين.

فالمتعفف تجاوز درجة الكف عما به بأس إلى ما لا بأس به سعيا منه إلى بلوغ درجة الكمال في الأخلاق

ثالثا: العفة ليس مصطلحا إسلاميا، فقد وجدناه في التراث اللساني العربي القديم من شعر ونثر تغنى به شعراء الجاهلية أمثال: عنترة بن شداد (ت22ق‌ه) وامرؤ القيس (ت80ه) في قصائدهم واستُعمل بمعناه اللغوي الذي هو مطلق الامتناع بغض النظر عن متعلقه نحو: الامتناع عن الغضب (امتلاك النفس وضبطها والتحلي بالحلم) ( ) الامتناع عن أخذ الغنيمة عند تقسيمها (عفة عن شهوة المال) الامتناع عن انتهاك الأعراض (عفة عن شهوة الفرج) الامتناع والتَّأبي عن اتباع هوى النفس

وفي قول عنترة: فوصلت ثم قدرت ثم عففت من *** شر فتناهى بي إلى الإنضاج[(99)]

إشارة إلى العفة إنما تكون بعد الوصول والقدرة والتمكين، فصبره على أذى قومه له واحتماله لم يكن عن ضعف أو جبن بل كان عفة وحِلما، فقد عرف بشدة بطشه واقتدراه.وعليه فلا يوصف العاجز بالعفة

غير القرآن الكريم أسس للعفة بعدا جديدا لامتناع عما لا يليق ولا يجمل بالمرء فعله وهذا القدر الزائد هو الذي تحصل به العفة بالمعنى الحقيقي مما هو مباح طلبا للسمو والرفعة وعلو الهمة.

الهوامش:

---

[1] – الثواب: ما يستحق به الرحمة والمغفرة من الله تعالى والشفاعة من الرسول ﷺ"، الجرجاني، " التعريفات " ص76

[2] – ينظر: التعريفات: الجرجاني، ص 175

[3] – ذكر الثعالبي في " فقه اللغة وسر العربية " في باب: تفصيل الغنى وترتيبه فقال: " عن الأئمة الكفاف ثم الغنى ثم الإحراق وهو أن ينمي المال ويكثر " ج1، ص11

[4] – ينظر: الكشاف: الزمخشري،ج1 ص502، مجمع البيان في تفسير القرآن: والطبرسي (ت 548ه) أبو علي الفضل بن الحسن، دار مكتبة الحياة بيرت لبنان، د ت ط. المجلد الأول ص354، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج4 ص371، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي،ج1 ص529، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود"،ج1 ص330، روح المعاني: الألوسي، ج3 ص46، التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، مطبعة السنة المحمدية دار الفكر العربي، د ت ط ج2 ص 347، تفسير التحرير و التنوير: الطاهر بن عاشور،ج3 ص74

[5] – إعراب القرآن: الزجاج (ت311 ه) أبو إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج النحوي،ج1 ص40

[6] – مشكل إعراب القرآن: مكي بن أبي طالب(ت437 ه)، تحقيق: د/ حاتم صالح الضامن،، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط2 ت ط 1405 ه،ج1 ص142

[7] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري،ج5 ص590

8- مذهب الطبري وجدته دون إحالة في ثنايا بعض كتب النحو والتفسير بصيغة "قيل" أو عبارة "قال بعضهم ": ولم يرجحه أي منهم، بل عقبوا عليه بقولهم " لا يجوز أو لا يصح.ينظر: إعراب القرآن:الزجاج النحوي،ج1 ص 40 و مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، المجلد الأول ص354

[9] – إعراب القرآن: الزجاج، ص40

[10] – عله علي بن عيسى بن الفرج بن صالح، أبو الحسن الربعي: عالم بالعربية. أصله من شيراز اشتهر وتوفي ببغداد. له تصانيف في النحو، منها كتاب " البديع " قال الانباري: حسن جدا، و " شرح مختصر الجرمي " و شرح الإيضاح: لأبي علي الفارسي، و " التنبيه على خطأ ابن جني في فسر شعر المتنبي " الأعلام: الزركلي " ج4 ص318

[11] – مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي،المجلد الأول، ج2 ص354

[12] – معالم التنزيل: البغوي،، المجلد الأول،ج3 ص337

[13] – الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس، باب الحذف والاختصار، ص62 و فقه اللغة وسر العربية: الثعالبي ج1 ص78

[14] – دلائل الإعجاز: الجرجاني (ت471ه) عبد القاهر بن عبد الرجمن،، قرأه وعلق عليه: محمد محمود شاكر،،مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ط 1، ت ط 1984 م، ص146

[15] – التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ج2 ص347

[16] – رفده: الرِّفد بالكسر المعونة بالعطاء والصلة العين ج2ص135 لسان العرب:ابن منظور، ج3ص181 الصحاح:الجوهري، المجلد الثاني، ص475

- عنوان الكتاب: اسم المؤلف ولقبه أو الاسم الثلاثي، مكان الطبع، اسم المطبعة أو الناشر، رقم الطبعة، تاريخ الطبع، رقم الجزء إن وجد، رقم الصفحة.

[17] –العيي: خلاف البيان وقد عيَّ في منطقه فهو عيي، وقيل أن تأتي بكلام لا يهتدي له.ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ج15ص111، الصحاح: الجوهري، المجلد السادس،ص2442، تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، ج1ص8515

[18] – إربة:الإربة الحاجة. ينظر: لسان العرب: ابن منظور، ج5ص184، تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، ج1ص3508

[19] - في معني الحصر ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة:حصر، ص895 وما بعها

[20] – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ص 205 (النساء:90، التوبة:5، البقرة:196 / 272، آل عمران: 39، الإسراء: 8)

[21] – البقرة: 195

[22] – الكشاف: الزمخشري، ج1 ص502، تفسير الفخر الرازي: المشتهر "بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب الرازي (ت 604 ه) فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1 ت ط1981م، ج7 ص 86، تفسير التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور ج3 ص74

[23] – ينظر: تفسير التحرير و التنوير: الطاهر بن عاشور،ج3ص74

[24] – أبو ذر الغفاري (ت 32 ه) وهو جندب بن جنادة الصحابي الجليل من السابقين إلى الإسلام وقصة إسلامه مذكورة في الصحيحين، كان يوازي ابن مسعود في العلم، قال فيه النبي ﷺ" يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ويموت وحده ويحشر وحده " الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، باب الكنى، ج7ص60

[25] – الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج4 ص371

[26] – المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، ص295

[27] – المثل السائر في أدب الكاتب الشاعر: ابن الأثير، ج1 ص221

[28] – المزمل: 18

[29] – الجمعة: 10

[30] – الفضل أيضا:هو ابتداء إحسان بلا علة. التعريفات: الجرجاني، ص174

[31] –الاستعارة: ادعاء معنى الحقيقة في الشيء للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين،" التعريفات "، ص20

[32] – الاتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج1 ص281

[33] –لسان العرب: ابن منظور، مادة: ح س ب، ص866

[34] – الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، باب: الفرق بين الظن والحسبان، ص99

[35] – التعريفات: الجرجاني، ص 84

[36] – مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، ج2 ص532 / 533

[37] – روح المعاني:الألوسي، ج3 ص47

[38] – نهج البلاغة: علي بن أبي طالب، جمعه ونسق أبوابه: الشريف الرضي،، مؤسسة المعارف بيروت لبنان، ط1 ت ط 1996 م، ص694

[39] – التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى.، التعريفات: الجرجاني، ص60

[40] – البرهان في علوم القرآن: الزركشي، ج3 ص424. الإيضاح في علو م البلاغة: القزويني، ج1 ص75

[41] – الشامل وهو معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها: محمد عيد إسبر وبلال جنيدي، دار العودة بيروت، ط1، ت ط 1981 م

[42] – النمل:88

[43] – الإنسان:19

[44] – ينظر: تفسير التحرير و التنوير: الطاهر بن عاشور، ج29 ص397 مفاتيح الغيب: الرازي، ج 18ص120 و

الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي ج 5 ص532

45 – البيت للشاعر علي بن محمد التهامي (ت416هـ) في قصيدة يرثي ابنه الصغير قال ابن بسام الأندلسي في كتاب " الذخيرة " في حقه: "كان مشتهر الإحسان، درب اللسان، مخلى بينه وبين ضروب البيان " له ديوان شعر صغير أكثره نخب. وفيات الأعيان: ابن خلكان، ج 3ص379/378

46 - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد أحمد الهاشمي، ضبط وتحقيق وتوثيق: د/ يوسف الصميلي المكتبة العصرية بيروت لبنان،ط1، ت ط1999 م، ص419

47 – الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان، ت ط 1986م، ص204

48 – شرح ابن عقيل: ابن عقيل الهمداني، ج1 ص130

49 –ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري، " ج1 ص371 وكذا المرجع السابق ج3ص130

50 – معالم التنزيل: البغوي، ج1 ص338

51 – تفسير القرآن الحكيم: مجمد رشيد رضا (ت 1354 ه)، (المشهور بتفسير المنار)، دار المنار القاهرة مصر، ط 2 ت ط 1947 م، ج3 ص88

52 – ذكرنا لفظ " وغيرها " ذلك لأن صاحب الشافية أضاف معان أخرى محتملة للبناء ومثل لها فقال:" وللاتخاذ نحو توسد وللتجنب نحو تأثم.

53 –نقصد بالمقاييس وجود الإثارة، الدافع

54 – تفسير ابن عرفة المالكى: بن عرفة الورغمي (ت803هـ) محمد بن محمد، تحقيق: د. حسن المناعي،، دار النشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية تونس ط1، ت ط 1986 م، ج2 ص 759 / 760

55 – البقرة: 272

56 – الأعراف: 45

57 – محمد: 31

58 – الفتح: 29

59 – الرحمن: 40

60 – التعريفات: الجرجاني، ص236

61 – النحل: 15 /16

62 – الحجر: 75

63 – لا شك فيه أنه يقصد علماء اللغة

64 – الجامع لأحكام القرآن:القرطبي، ج12 ص234

65 – البصيرة: قوة القلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها، التعريفات: الجرجاني، ص 47

66 – تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج4 ص543

67 – في ظلال القرآن: سيد قطب، ج1 ص296

68 – جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ينظر: الطبري، ج17 ص119، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج12 ص234، ابن كثير، ج4 ص543

69 – الحديث رواه الترمذي تحت رقم3052 وهو حيث مرفوع إلى النبي ﷺ علق عليه الترمذي بقوله: هذا حديث

غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وقد روي عن بعض أهل العلم

[70] – لسان العرب: ابن منظور، مادة ف ر س،ج39 ص3379

[71] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري،ج5 ص597

[72] – تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ج3 ص 88

[73] – لسان العرب: ابن منظور، مادة: ل ح ف، ج45 ص4009

[74] – الفتور: السكون بعد الحدة واللين بعد الشدة. أساس البلاغة: الزمخشري، ج2 ص4

[75] – الكشاف: الزمخشري،ج1 ص503

[76] – أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي،ج1 ص303

[77] – التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ج2 ص349 /350

[78] – ينظر: تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ج3 ص89

[79] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري، ج5 ص542

[80] – الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج 4 ص374

[81] – معالم التنزيل: البغوي، المجلد الأول، ج 3ص338

[82] –الحديث رواه البخاري في صحيحه، باب لا يسألون الناي إلحافا، ج3 ص205

[83] –الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ ج6 ص159 والنسائي في سننه ج 8 ص397،وأبو داوود في سننه ج 4 ص 434

[84] – سنن النسائي: النسائي، باب: من الملحف،ج8 ص395

[85] –ينظر: لسان العرب: ابن منظور، مادة ل ح ف،ج45 ص4009

[86] – ينظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، ج12ص387

[87] – الكشاف: الزمخشري، ج1 ص503 / 504

[88] –لاحب: من اللحب وهو الطريق الواضح واللاحب مثله، لسان العرب: ابن منظور، مادة: ل ح ب، ج45 ص4003

[89] – البيت هو لامرئ القيس، على لا حب لا يهتدي بمناره إذا ساقه العود النباطي جرجرا ديوان امرئ القيس: اعتنى به وشرحه: عبد الرحمان المصطاوي،دار المعرفة بيروت لبنان ط2، ت ط 2004 م، ص 96 وأمثاله كثير في لغة العرب ذكر بعضها ابن جني(ت 392 ﻫ)في باب:" جمع الأشباه من حيث يغمض الاشتباه "

ومثيلها في القرآن الكريم كثير

[90] – الكشاف: الزمخشري، ج1 ص504

[91] – الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج 4ص275

[92] – تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ج3 ص89

[93] – أرباب المعاني: عله يقصد الذين ألفوا في معاني القرآن

[94] – مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، المجلد الأول،ج 3 ص355

[95] – جامع البيان عن تأويل آي القرآن:الطبري، ج 5 ص598

[96] – نفي الشيء بإيجابه

[97] – المثل السائر: ابن الأثير، ج1 ص172

[98] - في ظلال القرآن: سيد قطب، ج1 ص296

[99] - ديوان عنترة: عنترة، ص82.

The semantic dimension of chastity about the lust of money in the Holy Quran

By Dr / Mohamed Rafa
Faculty of Arts and Arts - University of Hassiba Ben Bouali Chlef
Moh—58@hotmail.fr

Abstract:

This article deals with the new semantic dimension of the Qur'anic word, as an introduction to the understanding of the Qur'anic discourse, many of the terms were used by the Arabs in their familiar linguistic language, but the Holy Qur'an gave it a new dimension to be derived from the contexts of its texts and verses. Among these terms is chastity.

In this context, this article is entitled: "The Semantic Dimension of Chastity for the Desire of Money in the Holy Quran" to address one of the areas of chastity in its new dimension through the study and analysis of verse 273 of Surah Al-Baqarah.

Keywords: chastity; lust ; the rich ; Poverty; Contentment ;